الفصل السادس

ترجيحات الإمام الآلوسي في مجال اللغة

المسألة الأولى
المراد بالدابة معناها اللغوي

في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

الدابة اسم لكل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى عاقلاً أو غيره مأخوذ من الدبيب وهو في الأصل المشي الخفيف ومنه قوله :

" زعمتني شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيباً (٢)

واختصت في العرف بذوات القوائم الأربع وقد تخص بالفرس ، والمراد بها هنا المعنى اللغوي باتفاق المفسرين. (٣)

المعنى الإجمالي للآية :

جميع ما دب على وجه الأرض ، من آدمي ، وحيوان ، بري أو بحري ، فالله تعالى قد تكفل بأرزاقهم وأقواتهم ، فرزقهم على الله ، ويعلم مستقر هذه الدواب وهو المكان الذي تقيم فيه ، وتستقر فيه ، وتأوى إليه ، والمكان الذي تنتقل إليه في ذهابها ومجيئها وعوارض أحوالها . (٤)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي حكى قولين في المراد بالدابة في الآية محل البحث وهما ما يلي :

القول الأول : أن الدابة اسم لكل حيوان ذي روح ذكراً أو أنثى عاقلاً أو غيره كما هو معناها اللغوي .

القول الثاني : أن الدابة في العرف مختصة بذوات القوائم الأربع .

---

(١)- سورة هود الآية ٦ .

(٢)- البيت في شرح شواهد المغني للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ ص ٩٢٢ ، ط دار مكتبة الحياة ، بيروت ، شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري على ألفية بن مالك لأبي محمد بن هشام الأنصاري جـ ١ ، ص ٢٤٨ ، ط دار الفكر ، وشرح قطر الندى وبل الصدى لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري المتوفى ٧٦١هـ ، ص ١٧٢ ، مطبعة السعادة ، مصر الطبعة الحادية عشر ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، والمعجم المفصل في شواهد اللغة العربية للدكتور إميل بديع يعقوب جـ ١ ، ص ١٣٨ ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك جـ ٢ ، ص ٢٢ ، ط دار إحياء الكتب العربية.

(٣)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ٧ .

(٤)- تيسير الكريم الرحمن لناصر السعدي ، جـ ٢ ، ص ٣٦٨ .

ثم مال الآلوسي إلى أن المراد بالدابة معناها اللغوي وهو ميل حميد أصاب فيه الإمام أجرين كاملين وهو ترجيح مؤسس على القاعدة التفسيرية :

(وجوب حمل كلام الله على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف المنكر)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : المراد بالدابة هنا العموم وزيادة في الأرض تأكيد لمعنى دابة في التنصيص على أن العموم مستعمل في حقيقته . (١)

أي ما من إنسان يمشي على الأرض أو حيوان يمشي عليها زاحفاً أو يمشي على رجلين أو أكثر أو يطير في السماء إلا وقد تكفل الله برزقه . (٢)

فالقرآن الكريم ورد بها على الأصل فيدخل فيه جميع ما خلقه الله على وجه الأرض من الجن والإنس والطير والأنعام. (٣)

ثانياً : أن ما نافية ومن مزيدة (٤) لتقوية النفي ليكون أكثر شمولاً وللدلالة على عموم الآحاد في كل الدواب ومعنى الكلام وما دابة في الأرض (٥) كان الضحاك يقول في قوله " وما من دابة " يعني كل دابة والناس منهم. (٦)

ثالثاً : أن الدابة في كتب اللغة كل ما يدب ويتحرك .

قال ابن منظور :

" الدابة اسم لما دب من الحيوان مميزه وغير مميزه " . (٧)

وقال صاحب المصباح المنير :

" كل حيوان في الأرض دابة وأما تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند الإطلاق فعرف طاريء وتطلق على الذكر والأنثى " . (٨)

---

(١)- التحرير والتنوير جـ ١٢ ، ص ٥ .

(٢)- أيسر التفاسير جـ ٢ ، ص ٢٣ .

(٣)- مجمع البيان جـ ٥ ، ص ١٨٤ .

(٤)- إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش جـ ٤ ، ص ٣١٤ .

(٥)- جامع البيان للطبري جـ ٧ ، ص ٣ ، ومجاز القرآن جـ ١ ، ص ٢٨٥ ، وزهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٦٦٦ ، وزاد المسير جـ ٤ ، ص ٧٨ .

(٦)- تفسير الضحاك جـ١ ، ص ٤٤١ ، تحقيق د / محمد شكري ، ط دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

(٧)- لسان العرب جـ ٢ ، ص ١٣١٤ مادة دبب .

(٨)- المصباح المنير جـ ١ ، ص ٢٥٦ .

فالدب والدبيب المشي الخفيف ويستعمل في كل حيوان وإن اختصت في التعارف بالفرس . (١)

رابعاً : قرينة المقام تقتضي كون المراد منه العموم لظهور أن الكلام مسوق لبيان سعة علمه تعالى ولذلك عقب به قوله " ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور " . (٢)

خامساً : ما رجحه الآلوسي من أن المراد بالدابة المعنى اللغوي الدال على العموم هو ما رجحه غيره من المفسرين وإليك بعض أقوالهم :

قال أبو حيان :
" الدابة عام في كل حيوان يحتاج إلى رزق " . (٣)

وقال الرازي :
" الدابة اسم لكل حيوان لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب وبنيت هذه اللفظة على هاء التأنيث وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفرس والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضع الأصلي اللغوي فيدخل فيه جميع الحيوانات ، وهذا متفق عليه بين المفسرين " . (٤)

وقال الخازن :
" المراد منه الإطلاق فيدخل الآدمي وغيره من جميع الحيوانات " . (٥)

وقال شهاب الدين :
" المراد بالدابة هنا معناها اللغوي وهو كل ما دب على الأرض باتفاق المفسرين لا المعنى العرفي " (٦) وعليه فالمراد بالدابة هنا معناها الوضعي اللغوي باتفاق المفسرين.(٧)

---

(١)- المفردات ص ١٦٤ ، وبصائر ذوي التمييز جـ ٢ ، ص ٥٨٥ ، وترتيب القاموس المحيط جـ ١ ، ص ١٤٣ .

(٢)- الميزان جـ ١٠ ، ص ١٤١ .

(٣)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ١٢٤ .

(٤)- مفاتيح الغيب جـ ١٧ ، ص ١٤٩ .

(٥)- لباب التأويل جـ ٢ ، ص ٢١٨ .

(٦)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٧٢ .

(٧)- انظر " حاشية زاده ، جـ ٤ ، ص ٦٢٠ ، وتفسير المراغي جـ ١٢ ، ص ٣ ، والتفسير المنير جـ ١٢ ، ص ١٩ .

وما رجحه الآلوسي هو الراجح وإليه مال أيضاً القرطبي [١] والبغوي [٢] والثعالبي [٣] وصديق خان [٤] وغيرهم اتفقوا على أن كل ما دب على الأرض فهو دابة ويعم جميع الحيوان المحتاج إلى رزق .

---

(١)- الجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ٦ .

(٢)- معالم التنزيل جـ ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٣)- الجواهر الحسان جـ ٢ ، ص ١١٧ .

(٤)- فتح البيان جـ ٣ ، ص ٢٩٠ .

المسألة الثانية
أم منقطعة

في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **أم يقولون افتراه** " إضراب بأم المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وعدم اكتفائهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على صدق الدعوى ، وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم ، وتقدر ببل والهمزة الإنكارية أي بل أيقولون ، وذهب ابن القشيري إلى أن " أم " متصلة ، والتقدير أيكتفون بما أوحينا إليك أم يقولون إنه ليس من عند الله ، والأول أظهر . (٢)

المعنى الإجمالي للآية :

أبان الله تعالى إعجاز القرآن الكريم بدليل تحدي العرب به فقال بل يقول مشركو مكة افترى محمد القرآن ، أي اختلقه من عند نفسه ، فإن كان ما يزعمون صحيحاً ، فليأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، تضارعه في الفصاحة والبلاغة ، وإتقان الأحكام والتشريعات في شؤون الحياة المختلفة من سياسة واجتماع ونظام تعامل ، والإخبار بقصص الأنبياء والغيبيات ، وهم أهل السبق في البيان والتفوق في ملكة اللسان ،ولكنهم عجزوا لأنه لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ، ولا بعشر سور مثله ، لأن كلام الرب تعالى لا يشبه كلام المخلوقين . (٣)

دراسة النص :

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي ذكر قولي أهل العلم في المراد بأم في الآية محل البحث وهما كالآتي :

القول الأول : أن أم منقطعة وتقدر ببل والهمزة الإنكارية .

القول الثاني : أن أم متصلة .

ثم استظهر القول الأول أن أم منقطعة وهو استظهار سديد مؤيد بالقاعدة التفسيرية:

(وجوب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أم المنقطعة هي بمعنى بل التي تكون للانتقال من كلام إلى كلام آخر لا لتدارك الغلط ، وفيها مع معنى بل معنى الهمزة الاستفهامية والهمزة الإنكارية . (٤)

---

(١)- سورة هود آية ١٣ .

(٢)- روح المعاني جـ ٧ ، ص ٣٠ .

(٣)- التفسير المميز جـ ١٢ ، ص ٣٤ .

(٤)- شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي المتوفى ٦٨٦هـ ، جـ ٤ ص ٤٣٣ قدم له ووضع حواشيه وفهارسه إميل بديع يعقوب ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

وتسمى المنقطعة لأنها منقطعة مما قبلها وما بعدها قائم بنفسه غير متعلق بما قبله[١] وقد ذكر ابن مالك أن الأكثر انها تدل على الإضراب مع الاستفهام. [٢]

والإضراب الانتقالي في قوة الاستئناف الابتدائي فللجملة حكم الاستئناف والمناسبة ظاهرة لأن الكلام في إبطال مزاعم المشركين فإنهم قالوا هذا كلام مفترى وقرعهم بالحجة.[٣]

ثانياً : على تقدير كونها منقطعة يكون تقديرها ببل والهمزة إضراب عن شرح صدره للثبات على الإنذار بما أوحى إليه ، وعلى أن لا يضيق صدره بأن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ثم أنكر عليهم قول ذلك . [٤]

فسياق القول أنهم يطلبون أن ينزل على النبي كنز من السماء أو يكون معه ملك ، وينكرون المعجزة القرآنية فواجههم الله بالتحدي المتجدد المستمر والإضراب هنا فيه انتقال إلى هذا التحدي . [٥]

ثالثاً : ما رجحه الآلوسي من أن أم منقطعة هو ما رجحه غيره من المفسرين وإليك بعض أقوالهم :

قال العلامة أبو السعود :

" إضراب بأم المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحي وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب" . [٦]

وقال صاحب الفتوحات الإلهية :

" أم هي بمعنى بل التي في ضمنها الإضراب الانتقالي والهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجب " . [٧]

وقال أبو حيان :

" الظاهر أن أم منقطعة تتقدر ببل والهمزة فالظاهر الانقطاع " . [٨]

---

(١)- كتاب الأزهية في علم الحروف لعلي بن محمد النحوي الهروي ص ١٢٧ ، تحقيق عبد المعين الملوحي ط مجمع اللغة العربية ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٢)- الجني الداني في حروف المعاني صنعة الحسن بن قاسم المرادي ص ٢٠٥ ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢١م ، وشرح التسهيل لابن مالك جـ ٣ ، ص ٣٦١ .

(٣)- التحرير والتنوير جـ ١٢ ، ص ١٩ .

(٤)- حاشية زاده جـ ٤ ، ص ٦٢٦ .

(٥)- زهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٦٧٨ .

(٦)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ،ص ١٩١ .

(٧)- الفتوحات الإلهية جـ ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٨)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ١٣٠ .

وقال شهاب الدين :

" الأظهر أنها منقطعة " . [١]

وقال صديق خان :

" أم هي المنقطعة بمعنى بل والهمزة ، أضرب عما تقدم من تهاونهم بالوحي وعدم قنوعهم بما جاء به من المعجزات الظاهرة ، وشرع في ذكر ارتكابهم لما هو أشد من ذلك وهو افتراؤهم عليه بأنه افتراء " . [٢]

وبهذا نخلص إلى رجحان رأي الآلوسي من أن أم منقطعة .

---

(١)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٧٩ .

(٢)- فتح البيان جـ ٣ ، ص ٢٩٥ .

المسألة الثالثة
الضمير للحياة الدنيا

في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **وهم فيها لا يبخسون** " أي لا ينقصون ، والظاهر أن الضمير المجرور للحياة الدنيا وقيل : الأظهر أن يكون للأعمال لئلا يكون تكراراً بلا فائدة . (٢)

المعنى الإجمالي للآية :

من كان يريد بعمله حظ الدنيا يكافأ بذلك ويحصل له الجزاء الدنيوي ، ولكن الواقع في الخارج يخالف ذلك فليس كل متمن ينال من الدنيا أمنيته وإن عمل لها وأرادها فلابد من تقييد ذلك بمشيئة الله سبحانه ، وهؤلاء المريدون بأعمالهم الدنيا هم في الدنيا لا ينقصون من جزائهم فيها بحسب أعمالهم لها وذلك في الغالب ، وليس بمطرد بل إن قضت به مشيئته سبحانه ورجحته حكمته البالغة . (٣)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي حكى قولين في عود الضمير في قوله " وهم فيها لا يبخسون " وهما ما يلي :

القول الأول : أن الضمير المجرور يعود للحياة الدنيا .

القول الثاني : أن الضمير يعود للأعمال .

ثم استظهر عود الضمير على الحياة الدنيا وهو استظهار سديد تؤيده القاعدة الآتية:

(توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : ظاهره أنه للدنيا وفائدته إفادة أن البخس ليس إلا في الدنيا فلولم يذكر توهم أنه مطلق لأن المعنى هم غير مظلومين في إبقاء جزاء أعمالهم في الدنيا دون تأخيره إلى دار القرار. (٤)

ثانياً : أنه كالتأكيد لمعنى جملة نوف إليهم أعمالهم فيها أي في الدنيا ، لا يجازون على كفرهم بجزاء سلب بعض النعم عنهم بل يتركون وشأنهم استدراجاً لهم وإمهالاً. (٥)

ثالثاً : مما يدل على أنه يعود إلى الدنيا ما ورد في السنة النبوية مما يشير إلى ذلك .

ففي الحديث الشريف عن أنس بن مالك قال ، قال رسول الله ﷺ " **إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما**

---

(١)- سورة هود الآية ١٥ .

(٢)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ٣٥ .

(٣)- فتح البيان جـ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٤)- حاشية الشاب جـ ٥ ، ص ٨٣ .

(٥)- التحرير والتنوير جـ ١٢ ، ص ٢٤ .

عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها " . [١]

فهم في الدنيا لا يبخسون ثمرة عمل من أعمالهم بل يوفون أعمالهم كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والطيبات والمنافع . [٢]

رابعاً : ما رجحه الآلوسي من عود الضمير على الدنيا هو ما رجحه غيره من المفسرين وإليك بعض أقوالهم :

قال ابن جرير :

" وهم فيها : أي في الدنيا " . [٣]

وقال أبو السعود :

" وهم فيها ، في الحياة الدنيا " . [٤]

وقال ابن عباس :

" أي في الدنيا " . [٥]

وقال ابن الجوزي :

" لا ينقصون من أعمالهم في الدنيا شيئاً " . [٦]

وبهذا نخلص إلى رجحان رأي الألوسي من عود الضمير على الحياة الدنيا.

---

(١)- صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا جـ ٤ ، ص ٢١٦٢ رقم ٣٨٠٨ .

(٢)- زهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٦٨٢ ، والكشاف جـ ٢ ، ص ٢١٠ .

(٣)- جامع البيان جـ ١١ ، ص ١٦ .

(٤)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ١٩٣ .

(٥)- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس لأبي طاهر بن يعقوب الفيروزآبادي ص ١٨٢ ، ط الأنوار المحمدية .

(٦)- زاد المسير جـ ٤ ، ص ٨٤ .

المسألة الرابعة
عود الضمير على الآخرة

في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [١]

قال الإمام الألوسي رحمه الله :

" وحبط ما صنعوا فيها " أي في الآخرة كما هو الظاهر ، فالجار متعلق بحبط وما تحتمل المصدرية والموصولية أي ظهر في الآخرة حبوط صنعهم ، أو الذي صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب الأخروي لو كانت معمولة للآخرة ، ويجوز أن يعود إلى الدنيا فيكون الجار متعلقاً بصنعوا و" ما " على حالها. [٢]

المعنى الإجمالي للآية :

أولئك الذين لا هم لهم في الدنيا ، لاحظ لهم في الآخرة إلا النار في مقابلة ما عملوا، لأنهم استوفوا في الدنيا ثمرة العمل الحسن ، وبقي لهم في الآخرة وزر العمل السيء ، وتبدد أثر عملهم في الدنيا ، وبطل ثواب عملهم في الآخرة ، لأنهم لم يريدوا وجه الله تعالى ، والعمدة في الثواب الأخروي هو الإخلاص لله عز وجل . [٣]

دراسة النص:

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي ذكر قولين في عود الضمير في قوله " فيها " وهما كما يلي :

القول الأول : أن ضمير فيها يعود على الآخرة .

القول الثاني : أن ضمير فيها يعود على الدنيا.

ثم استظهر القول بأن الضمير يعود على الآخرة وهو استظهار سديد وترجيح رشيد مؤيد بالقاعدة التفسيرية :

(الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أن كل من أتى بعمل من الأعمال لطلب الأحوال الدنيوية فإنه يجد تلك المنفعة الدنيوية اللائقة بذلك العمل ثم إذا مات فإنه لا يحصل له منه إلا النار ويصير ذلك العمل في الدار الآخرة محبطاً باطلاً عديم الأثر . [٤]

فصنيعهم لم يكن له ثواب في الآخرة لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا . [٥]

ثانياً : أن الله تعالى سماها في موضع آخر بدار البوار أي الهلاك فقال تعالى : **" ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها "** . [٦]

---

(١)- سورة هود الآية ١٦.

(٢)- روح المعاني ، جـ١٢، ص٣٦.

(٣)- تفسير المنير ، جـ١٢ ، ص ٣٨.

(٤)- مفاتيح الغيب ، جـ١٧، ص ١٦٠.

(٥)- الفريد في إعراب القرآن المجيد ، جـ٢ ، ص ٦١١.

(٦)- سورة إبراهيم آية ٢٩.

وذلك أنهم إذا وردوا الحياة الآخرة وقعوا في دار حقيقتها أنها نار تأكل جميع أعمالهم في الحياة كما تأكل النار الحطب وتبيد وتهلك كل ما تطيب به نفوسهم من محاسن الوجود وتحبط ما صنعوا فيها وتبطل ما أسلفوا من الأعمال في الدنيا.[١]

ثالثاً : مما يعضد ترجيح الإمام الآلوسي ترجيح بعض المفسرين لعود الضمير على الآخرة وإليك أقوالهم:

قال أبو حيان:

" الضمير في قوله " ما صنعوا فيها : الظاهر أنه عائد على الآخرة والمعنى وظهر حبوط ما صنعوا في الآخرة " .[٢]

وقال الزمخشري :

" حبط في الآخرة ما صنعوه " .[٣]

وقال السدي :

" حبط ما عملوا من خير وبطل في الآخرة ليس لهم فيها جزاء " .[٤]

وقال أبو السعود :

" أي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة " .[٥]

وقال صديق خان:

" ظهر في الدار الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت صورتها صورة الطاعات الموجبة للجزاء الأخروي لولا أنهم أفسدوها بفساد مقاصدهم وعدم الخلوص وإرادة ما عند الله في دار الجزاء بل قصروا ذلك على الدنيا" .[٦]

وبهذا يتضح أن الراجح هو ما رجحه الإمام الآلوسي من عود الضمير على الآخرة.

---

(١)- الميزان ، جـ١١ ، ص ١٦٨.

(٢)- البحر المحيط ، جـ٦ ، ص١٣٣.

(٣)- الكشاف ، جـ٢ ، ص ٢١٠.

(٤)- فتح القدير ، جـ٢ ، ص٦٨٣.

(٥)- إرشاد العقل السليم ، جـ٣ ، ص ١٩٤.

(٦)- فتح البيان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٩.

المسألة الخامسة

تعلق الجار والمجرور في برحمة بنجينا

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" برحمة منا " والجار والمجرور الأول متعلق بنجينا وهو الظاهر الذي عليه كثير من المفسرين وجوز أبو حيان كونه متعلقاً بآمنوا (٢) أي إن إيمانهم بالله تعالى ورسوله عليه السلام برحمة من الله تعالى إذ وفقهم إليه. (٣)

المعنى الإجمالي للآية:

ولما حان وقت هلاكهم بالعذاب ، نجينا رسولنا هوداً والذين آمنوا معه ، بهداية ووقاية ولطف ورعاية ، ونجيناهم من عذاب شديد قاس كان يدمر كل شيء. (٤)

دراسة النص :

الملاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر قولين في تعلق الجار والمجرور برحمة وهما كالآتي :

القول الأول: أن الجار والمجرور في برحمة متعلق بنجينا .

القول الثاني: أن الجار والمجرور متلق بآمنوا.

ثم استظهر القول الأول بتعلق الجار والمجرور بنجينا وهو استظهار من الإمام حميد مؤسس على القاعدة الآتية:

(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي:

أولاً : الباء في برحمة منا للسببية فكانت رحمة الله بهم سبباً في نجاتهم ، والمراد بالرحمة فضل الله عليهم لأنه لو لم يرحمهم لشملهم الاستئصال فكان نقمة للكافرين وبلوى للمؤمنين . (٥)

فالمراد بها الرحمة الخاصة بالمؤمنين المستوجبة نصرهم في دينهم وإنجاءهم من شمول الغضب الإلهي وعذاب الاستئصال . (٦)

قال تعالى:﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ (٧)

---

(١)- سورة هود الآية ٥٨.

(٢)- البحر المحيط ، جـ٦، ص١٧٠.

(٣)- روح المعاني ، جـ١٢، ص١٢٧.

(٤)- تفسير القرآن الكريم د/ عبد الله شحاته ، جـ٦، ص ٢٢٢٦.

(٥)- التحرير والتنوير ، جـ١٢، ص١٠٤.

(٦)- الميزان ، جـ١٠ ، ص ٢٩٢.

(٧)- سورة غافر آية ٥١.

ثانياً : قوله " برحمة " قصداً إلى الإعلام أن النجاة إنما كملت بمجرد رحمة الله لا بأعمالهم فتكون الآية على هذا في معنى قول رسول الله " **لا يدخل أحد الجنة بعمله، قال رجل ولا إياك يا رسول الله قال ولا إياي إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل** " . (١)

فظاهر الحديث يدل على أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته ، فلولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا أن يكون عوضاً لها بل من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل لعمله وإنما هو بفضل الله وبرحمته. (٢)

فالرحمة سبب الإنجاء وذلك أن العذاب إذا نزل قد يعم المؤمن والكافر ، فلما أنجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه . (٣)

لأن أحداً لا ينجو إلا برحمة الله تعالى وإن كانت له أعمال صالحة . (٤)

ثالثاً : ما رجحه الآلوسي في كون الجار والمجرور متعلق بنجينا رجحه غيره من المفسرين :

قال أبو حيان :

" والظاهر تعلق برحمة منا بقوله نجينا أي نجيناهم بمجرد رحمة من الله لحقتهم لا بأعمالهم الصالحة " . (٥)

وقال صاحب المقتطف :

" الجار والمجرور متعلق بنجينا وهو الظاهر الذي عليه كثير من المفسرين " . (٦)

وعلى هذا فما رجحه الإمام الآلوسي من كون الجار والمجرور في برحمة متعلق بنجينا وإليه مال الطبرسي (٧) والشوكاني (٨) وصديق خان (٩) ومحي الدين زاده . (١٠)

---

(١)- صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ، جـ٤ ص ٢١٦٩ ، رقم ٢٨١٦، وفتح الباري كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل جـ١١ ، ص ٣٠٠ رقم ٦٤٦٣ ، وابن ماجه في الزهد باب التوقي على العمل ، جـ٢ ، ص ١٤٠٥ ، رقم ٤٢٠١.

(٢)- شرح النووي على صحيح مسلم كتاب صفة القيامة باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ، جـ٩ ، ص ١٣٥ ، رقم ٢٨١٦.

(٣)- لباب التأويل جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٤)- معاني القرآن للزجاج جـ ٣ ، ص ٥٩ ، وإعراب القرآن للنحاس جـ ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٥)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ١٧٠ .

(٦)- المقتطف من عيون التفاسير جـ ٢ ، ص ٥٣٨ .

(٧)- مجمع البيان ، جـ ٥ ، ص ٢١٩ .

(٨)- فتح القدير ، جـ ٢ ، ص ٧٠٦ .

(٩)- فتح البيان ، جـ ٣ ، ص ٣٢٩ .

(١٠)- حاشية زاده ، جـ ٤ ، ص ٦٦٠ .

المسألة السادسة
" لكم آية " حال مؤسسة

في قوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **لكم آية** " معجزة دالة على صدقي في دعوة النبوة ، وهي حال من" ناقة الله " والظاهر أنها حال مؤسسة ، وجوز فيها أن تكون مؤكدة . (٢)

المعنى الإجمالي للآية :

أعطى الله نبيه صالحاً آية ومعجزة تدل على صدقه ، وهي معجزة مدهشة عجيبة ، فقد خلقها الله من صخرة في جوف الجبل ، وخلقها حاملاً من غير ذكر ، وكان لها يوم تشرب فيه الماء وحدها ، وكانت تدر لبناً كثيراً يكفي الخلق الكثير ، فهذه الأمور جعلت الناقة آية متميزة تدل على أنها معجزة وتوجه صالح إلى قومه يقول " هذه ناقة الله لكم آية ومعجزة ظاهرة لكم ، لتعتبروا وتصدقوا بأني رسول من قبل الله ، فخلوها وشأنها ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلاً عن عقرها وقتلها . (٣)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر قولين في نوع الحال في لكم آية وهما ما يأتي :

القول الأول : أن لكم آية حال مؤسسة .

القول الثاني : أنها حال مؤكدة .

ثم استظهر القول بأنها حال مؤسسة وهو ترجيح حميد مؤيد بالقاعدة التفسيرية:

(إذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد فحمله على التأسيس أولى)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أن الحال المؤسسة هي التي لا يستفاد معناها بدونها . (٤)

وذلك أنه ذكر هنا أول أمر الناقة فقد روي أنهم طلبوا منه آية تضطرهم إلى الإيمان فأخرج الله جلت قدرته لهم الناقة من الجبل فوقفهم صالح وقال لهم هذه ناقة الله لكم آية. (٥)

---

(١)- سورة هود آية ٦٤ .

(٢)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ١٣٤ .

(٣)- تفسير القرآن الكريم د / عبد الله شحاتة ، جـ ٦ ، ص ٢٢٣١ ، وإرشاد العقل السليم ،جـ ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٤)- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المتوفى ٧٦١هـ ، جـ ١ ، ص ٣١٢ ، قدم له ووضع هوامشه د / إميل بديع يعقوب ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

(٥)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، وفتح البيان جـ ٣ ، ص ٥٣٧ .

فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح [١] فكأنه قال انتبهوا إليها في هذه الحال . [٢]

فهذه الناقة جعلها الله آية ومعجزة ظاهرة لكم لتعتبروا وتصدقوا بأني رسول من قبل الله .

قال صاحب حاشية الشهاب :

" هذه حال مؤسسة وهو ظاهر " . [٣]

فقد أسست هذه الحال معنى جديداً وهي أن هذه الناقة معجزة لنبي الله صالح تدل على صدقه وعلى هلاكهم إن خالفوا أمره فيها ، فهي حجة وعلامة ودلالة على ما دعاهم إليه وهو ما رجحه الآلوسي .

---

(١)- لباب التأويل جـ ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٢)- الجامع لأحكام القرآن جـ ٩ ، ص ٦٠ ، ومجمع البيان جـ ٥ ، ص ٢٢٤ .

(٣)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١١٢ .

المسألة السابعة

الرؤية بصرية

في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [١]

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" رأى " قيل علمية فجملة لا تصل مفعول ثان ، والظاهر أنها بصرية ، والجملة في موضع الحال . [٢]

المعنى الإجمالي للآية :

لما رأى إبراهيم أن أضيافه أيديهم لا تمتد إلى الطعام الذي قدم إليهم نكر ذلك منهم ووجده على غير ما يعهد من الضيوف وأحس في نفسه خوفاً وفزعاً ، فالعادة قد جرت أن الضيف إذا لم يطعم مما قدم إليه ظن أنه لم يجيء بخير وأنه يحدث نفسه بشر . [٣]

دراسة النص :

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي حكى قولين في رأى هل هي علمية أم بصرية وهما ما يلي :

القول الأول : أن رأى علمية .

القول الثاني : أن رأى بصرية .

ثم استظهر القول بأن الرؤية بصرية وهو استظهار سديد تؤيده القاعدة الآتية :

(القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح من أن الرؤية بصرية بقرينة نكرهم ،فإن الثلاثي منه فيما يرى بالبصر والرباعي فيما لا يرى من المعاني ومنه قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكـرت من الحوادث إلا الشيـب والصلعـا [٤]

---

(١)- سورة هود آية ٧٠ .
(٢)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ١٤١ .
(٣)- تفسير المراغي جـ ١٢ ، ص ٥٩ .
(٤)- البيت : انظر : ديوان الأعشي ص ١٣٧ شرح د/ يوسف فرحات ، ط دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م وتهذيب اللغة للأزهري جـ ١٠ ، ص ١٩١ ، والمحتسب جـ ٢ ، ص ٢٩٨ .

فإنها أنكرت مودته وهي من المعاني التي لا ترى ونكرت شيبته وصلعه وهما يبصران . [١]

قال صديق خان :

" الرؤية بصرية أي أبصر أيديهم لا يمدونها إلى العجل" . [٢]

وقال محي الدين الدرويش :

" الرؤية هنا بصرية وأيديهم مفعول به " . [٣] ورأى البصرية تتعدى إلى مفعول واحد . [٤]

وعلى هذا فما رجحه الآلوسي من كونها بصرية هو الراجح .

---

(١)- انظر : الدر المصون جـ ٤ ، ص ١١٣ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ١٨٠ ، واللباب جـ ١٠ ، ص ٥٢٢ .

(٢)- فتح البيان جـ ٣ ، ص ٣٣٥ .

(٣)- إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش جـ ٤ ، ص ٣٦٨ .

(٤)- شرح التسهيل لابن مالك ، جـ ١ ، ص ٨١ .

المسألة الثامنة

المراد بالأمر ما هو ضد النهي

في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" فلما جاء أمرنا " أي عذابنا أو الأمر به ، فالأمر على الأول واحد الأمور ، وعلى الثاني واحد الأوامر ، ورجح تفسير الأمر بما هو واحد الأوامر – أعني ضد النهي– بأنه الأصل فيه لأنه مصدر أمره ، وأما كونه بمعنى العذاب فيخرجه عن المصدرية الأصلية وعن معناه المشهور الشائع . (٢)

المعنى الإجمالي للآية :

ولما جاء أمرنا بالعذاب وهو أمره تعالى الملائكة بعذابهم جعلنا عالي أرضهم وبلادهم سافلها بتقليبها عليهم وأمطرنا عليها حجارة من طين متحجر متتابع في النزول عليهم . (٣)

دراسة النص :

الملاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي أورد قولين في المراد بالأمر في الآية محل البحث وهما كالآتي :

القول الأول : أن الأمر واحد الأمور .

القول الثاني : أن الأمر واحد الأوامر الذي هو ضد النهي .

ثم رجح القول بأنه ضد النهي وهو ترجيح رشيد أصاب فيه الإمام تدعمه القاعدة التفسيرية :

(القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : يؤيد أن المراد بالأمر ضد النهي أنه الأصل فيه لأنه مصدر أمره ، وأما كونه بمعنى العذاب فيخرجه عن المصدرية الأصلية وعن معناه المشهور والأصل يستعمل في كلامهم بمعنى الكثير الأغلب . (٤)

ثانياً : يؤيد كون المراد بقوله أمرنا أمره تعالى بالعذاب أن الأصل حمل اللفظ على معناه الأصلي الحقيقي لأنه لو أريد العذاب للزم أن يتحد السبب والمسبب لأن الجعل المذكور في قوله جعلنا عاليها سافلها هو العذاب ، فوجب أن يحمل الأمر على ما هو ضد النهي . (٥)

---

(١)- سورة هود آية ٨٢ .

(٢)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ١٦٨ .

(٣)- الميزان جـ ١٠ ، ص ٣٣٢ .

(٤)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٢٣ .

(٥)- حاشية زاده ، جـ ٤ ، ص ٢٧٨ .

ثالثاً : يدل على أن المراد بالأمر واحد الأوامر ما هو ضد النهي قول الملائكة " إنا أرسلنا إلى قوم لوط " ، فدل هذا على أنهم كانوا مأمورين من عند الله تعالى بالذهاب إلى قوم لوط وبإيصال هذا العذاب إليهم . (١)

قال الإمام الرازي :

" فالله تعالى أمر جمعاً من الملائكة أن يخرجوا تلك المدائن في وقت معين ، فلما جاء ذلك الوقت أقدموا على ذلك العمل ، فكان قوله " فلما جاء أمرنا " إشارة إلى ذلك التكليف " . (٢)

وبهذا نخلص إلى رجحان رأي الآلوسي من كون الأمر واحد الأوامر ما هو ضد النهي .

---

(١)- اللباب جـ ١٠ ، ص ٥٤١ .

(٢)- مفاتيح الغيب جـ ١٨ ، ص ٣١ .

المسألة التاسعة
" ما " مصدرية ظرفية

في قوله تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي :

" **ما استطعت** " أي مدة استطاعتي ذلك وتمكني منه لا آلو فيه جهداً فما مصدرية ظرفية وجوز فيها أن تكون موصولة بدلاً من الإصلاح أي المقدار الذي استطعته ، وجوز أيضاً أن تكون مفعولاً به للمصدر المذكور كقوله :

ضعيف النكاية أعـــداءه يخال الفرار يراخـــى الأجـــل (٢)

أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم ، والأبلغ الأظهر ما قدمناه لأن في احتمال البدلية إضماراً وفوات المبالغة ، وفي الاحتمال الأخير إعمال المصدر المعرف في المفعول به ، وفيه مع أنه لا يجوز عند الكوفيين ويقل عند البصريين فواتها وزيادة إضمار مفعول " استطعت " . (٣)

المعنى الإجمالي للآية :

بين نبي الله شعيب أن ما يدعوهم إليه هو الخير الذي فيه صلاحهم في دنياهم وآخرتهم وإصلاح نفوسهم وجماعتهم بالنصيحة والموعظة مقدار ما استطعته من الإصلاح ، وكوني موفقاً لتحقيق ما أنتحيه من إصلاحكم بتأييده تعالى ومعونته ، قاله عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك وعليه توكلت في ذلك معرضاً عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداد به والاستظهار وإليه وحده أرجع ، وهو الذي يجزيني على الخير ، وفي هذه العبارات الثلاث ، تأكيد إرادة إصلاح النفس والجماعة ، وتأكيد الاعتماد على الله في النتائج ، وتأكيد الرجوع إليه سبحانه . (٤)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي ذكر الأقوال الواردة في المراد " بما " في الآية محل البحث على ثلاثة أقوال كالآتي :

القول الأول : أن " ما " مصدرية ظرفية .

القول الثاني : أن " ما " موصولة بدلاً من الإصلاح .

القول الثالث : أن " ما " مفعول به للمصدر المذكور .

---

(١)- سورة هود آية ٨٨ .

(٢)- البيت في : خزانة الأدب جـ ٨ ، ص ١٢٧ ، وحاشية الصبان على شرح الأشمون على ألفية ابن مالك جـ ٢ ، ص ٢٨٤ ، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري على ألفية بن مالك جـ ٢ ، ص ٦٣ ، والدر المصون جـ ٤ ، ص ١٢٣ ، والبحر المحيط جـ ٦ ، ص ١٩٩ .

(٣)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ١٨٠ .

(٤)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٢٣٤ ، وزهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٧٤٢ .

ثم استظهر القول الأول بأنها مصدرية ظرفية وهو استظهار سديد عملاً بالقاعدة الآتية :

(وجوب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة) .

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : ما المصدرية تصير الفعل الذي بعدها في تأويل المصدر وتعرب ظرفاً لإقامتها مقام الظرف [١] ولو كان معنى كونها زمانية أنها تدل على الزمان بذاتها لا بالنيابة لكانت اسماً ولم تكن مصدرية [٢] فالمراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح [٣] أي مدة استطاعتي الإبلاغ لا الإجبار . [٤]

ثانياً : أنها مصدرية ظرفية والتقيد به للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه . [٥]

فالمراد قدر الاستطاعة بالإصلاح وهو الإبلاغ والإنذار فقط لا الإجبار على الطاعة لأن ذلك إلى الله فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء . [٦]

قال الإمام الرازي :

" المقصود من هذا الكلام أن القوم كانوا قد أقروا بأنه حليم رشيد وإنما أقروا له بذلك لأنه كان مشهوراً فيما بين الخلق بهذه الصفة فكأنه عليه السلام قال لهم إنكم تعرفون من حالي أني لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد والخصومة ، فإنكم تعرفون أني أبغض ذلك الطريق ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتي وذلك هو الإبلاغ والإنذار وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه . [٧]

ثالثاً : ما رجحه الآلوسي من كون ما مصدرية ظرفية هو ما رجحه غيره من المفسرين وإليك بعض أقوالهم :

قال أبو حيان :

" والظاهر أن ما مصدرية ظرفية أي مدة استطاعتي للإصلاح ومادمت متمكناً منه لا آلوا فيه جهداً " . [٨]

---

(١)- رصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد بن عبد النور المالقي المتوفى ٧٠٢هـ ، ص ٣١٣، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق .

(٢)- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للإمام ابن هشام الأنصاري جـ ١ ، ص ٣٠٤ ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٣)- التحرير والتنوير جـ ١٢ ، ص ١٤٥ .

(٤)- زاد المسير جـ ٤ ، ص ١٥١ .

(٥)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٢٣٤ .

(٦)- لباب التأويل جـ ٢ ، ص ٢٤٩ .

(٧)- مفاتيح الغيب جـ ١٩ ، ص ٣٨ .

(٨)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ١٩٩ .

وقال شهاب الدين الخفاجي :

" ما مصدرية ظرفية في محل نصب متعلقة بالإصلاح وهو أحد الوجوه في إعرابها وأظهرها " . [١]

وقال الزمخشري :

" ما " ظرف أي مدة استطاعتي للإصلاح ومادمت متمكناً منه " . [٢]

وإليه مال أيضاً القرطبي [٣] والنيسابوري [٤] ومحي الدين زاده [٥] والجمل . [٦]

---

(١)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٢٧ .

(٢)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٣٠ .

(٣)- الجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ٩٠ .

(٤)- غرائب القرآن جـ ٤ ، ص ٤٥ .

(٥)- حاشية زاده جـ ٤ ، ص ٦٨٤ .

(٦)- الفتوحات الإلهية جـ ٢ ، ص ٤١٨ .

المسألة العاشرة

عود الضمير على قوم موسي

في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" لقضي بينهم " أي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بإنزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين ، وفي البحر : إن الظاهر عود الضمير على قوم موسي (٢) قيل : وليس بذاك . وقال ابن عطية : عوده على القومين أحسن عندي ، (٣) وتعقب بأن قوله سبحانه " وإن كلاً " ظاهر في التعميم بعد التخصيص وفيه نظر ، والأولى عندي الأول . (٤)

المعنى الإجمالي للآية :

يخبر تعالى أنه آتى موسى الكتاب الذي هو التوراة ، الموجب للاتفاق على أوامره ونواهيه ، والاجتماع ، ولكن مع هذا ، فإن المنتسبين إليه ، اختلفوا فيه اختلافا أضر بعقائدهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخيرهم وعدم معاجلتهم بالعذاب لقضي بينهم بإحلال العقوبة بالظالم ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن أخر القضاء بينهم إلى يوم القيامة ، وبقوا في شك مريب . (٥)

فهذه الآية تسلية للنبي ﷺ بأن خلاف قومه عليه لم ينفرد به ، بل هو الشأن في جميع أمم المرسلين ، وضرب له مثلاً بقوم موسى حين اختلفوا عليه .

دراسة النص :

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي ذكر أقوال أهل العلم في عود الضمير في " بينهم " و " إليهم " في الآية محل البحث على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الضمير يعود على المختلفين من قوم محمد ﷺ .

القول الثاني : أن الضمير يعود على قوم موسى عليه السلام

القول الثالث : أنه يعود على قوم محمد وقوم موسى عليهما السلام .

وقد رجح الآلوسي عود الضمير على قوم محمد ، والإمام أصاب في هذا الاختيار أجراً واحداً ، لأن الظاهر والله أعلم عود الضمير على قوم موسى عملاً بالقاعدتين الآتيتين :

(توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها)

(إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره)

---

(١)- سورة هود آية ١١٠ .

(٢)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢١٦ .

(٣)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٢١٠ .

(٤)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ٢٢٢ .

(٥)- تيسير الكريم الرحمن جـ ٢ ص ٤٠٧ .

وهذا هو الراجح لما يأتي :

أولاً : يؤيد عود الضمير على قوم موسى أنه لم يكن للمشركين ذكر ولم يكن ذكر القرآن هنا وإن إعادة الضمير إليهم وإلى كتاب الله تعالى لا يأتي بفائدة جديدة .

قال الإمام أبو زهرة :

" أرى أن الضمير يعود إلى قوم موسى الذي أوتى التوراة ، ويكون الريب بسبب اختلافهم فإن الاختلاف يحدث الشك والجدل ذريعة الريب ، والضمير في إنهم يعود حينئذ إلى مذكورين في القول غير مطويين ، وكذلك الضمير في منه وإن في ذلك لعبرة من ناحيتين .

الأولى : تسلية النبي ﷺ .

الثانية : بيان أن الاختلاف والجدل تميع فيهما الحقائق ويحل محلها الشك والريب " . (١)

وقال أبو حيان :

" الظاهر عود الضمير في بينهم على قوم موسى عليه السلام إذ هم المختلفون فيه أو في الكتاب " . (٢)

ثانياً : أن عود الضمير إلى مشركي العرب بعيد عن الصواب لأن الله سبحانه قد أتم الحجة عليهم في صدر السورة أنه كتابة المنزل من عنده على نبيه وتحدى بمثل قوله " قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات " ولا معنى مع ذلك لإسناد شك إليهم .

قال الطباطبائي :

" الظاهر أن مرجع الضمير إلى أمة موسى وهو اليهود وحق لهم أن يشكو فيه فإن سند التوراة الحاضرة ينتهي إلى ما كتبه رجل من كهنتهم يسمى عزراء عندما أرادوا أن يرجعوا من بابل بعد انقضاء السبي إلى الأرض المقدسة وقد أحرقت التوراة قبل ذلك بسنين عند إحراق الهيكل ، فانتهاء سندها إلى واحد يوجب الريب فيها طبعاً على أن التوراة الحاضرة يوجد فيها أشياء لا ترضي الفطرة الإنسانية أن تنسبها إلى كتاب سماوي ومقتضاه الشك فيها " . (٣)

وبهذا نخلص إلى رجحان القول بعود الضمير على قوم موسى فإن الآية في موسى عليه السلام وفي قومه فلا داعي لفصل الضمائر بعضها عن بعض فإن الحديث فيهم وعنهم .

---

(١)- زهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٧٦٠ .

(٢)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢١٦ .

(٣)- الميزان جـ ١١ ، ص ٤٧ .

المسألة الحادية عشرة
" ثم " للتراخي الرتبي

في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" ثم لا تنصرون " ثم قيل : لاستبعاد نصره سبحانه إياهم وقد أوعدهم العذاب على ذلك وأوجبه لهم وتعقب بأن أثر الحرف إنما هو في مدخوله ومدخول " ثم " عدم النصرة وليس بمستبعد ، وإنما المستبعد نصر الله تعالى لهم ، فالظاهر أنها للتراخي في الرتبة لأن عدم نصر الله أشد وأفظع من عدم نصرة غيره ، وأياً ما كان فالمقام مقام الواو إلا أنه عدل عنها لما ذكر وجوز القاضي أن تكون منزلة منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فإنه سبحانه لما بين أنه معذبهم وأن أحداً لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً . (٢)(٣)

المعنى الإجمالي للآية :

نبه الله تعالى إلى خطر الميل مع الظالمين فقال " ولا تركنوا " أي لا تميلوا إلى الظالمين بمودة أو مداهنة أو رضى بأعمالهم ، أو استعانة بهم ، أو اعتماد عليهم ، فتصيبكم النار بركونكم إليهم ، فالركون إلى الظالمين ظلم ، وليس لكم من غير الله أنصاراً أبداً ينفعونكم ويمنعون العذاب عنكم ، ثم لا ينصركم الله ، لأنه تعالى لا ينصر الظالمين ، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم . (٤)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي أورد قولين في معنى " ثم " في الآية محل البحث وهما ما يلي :

القول الأول : أن " ثم " للتراخي في الرتبة بمعنى الواو .

القول الثاني : أن ثم بمعنى الفاء لاستبعاد النصرة مطلقاً .

ثم استظهر القول الأول بأنها للتراخي الرتبي وهو استظهار سديد مؤيد بالقاعدة الآتية : **(وجوب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق) .**

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أن العطف بثم هنا وهي دالة على التراخي لبيان البعد بين الانتصار وموالاة الظالمين أو الركون إليهم بموادتهم ومعاونتهم (٥) ففائدتها تبعيد النصرة من الظلم.(٦)

---

(١)- سورة هود آية ١١٣ .

(٢)- أنوار التنزيل للبيضاوي جـ ١ ، ص ٤٧٢ .

(٣)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ٢٣٣ .

(٤)- التفسير المنير جـ ١٢ ، ص ١٦٧ .

(٥)- زهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٧٦٦ .

(٦)- غرائب القرآن جـ ٤ ، ص ٥٦ .

ثانياً : التعبير بثم في قوله " ثم لا تنصرون " للدلالة علي اختتام الأمر على ذلك بالخيبة والخذلان كأنه قيل تمسكم النار وليس لكم إلا الله فتدعونه فلا يجيبكم وتستنصرونه فلا ينصركم فيؤول أمركم إلى الخسران والخيبة والخذلان . (١)

ثالثاً : اتفق الكثير من المفسرين مع الآلوسي في أن ثم للتراخي في الرتبة .

قال أبو السعود :

" ثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهة الله بعد ما أوعدهم بالعذاب " . (٢)

وقال الشهاب الخفاجي :

" الظاهر أنها للتراخي في الرتبة لأن عدم نصرة الله أشد وأفظع من عدم نصرة غيره " . (٣)

وقال ابن عادل :

" ثم للتراخي الرتبي " . (٤)

وقال صديق خان :

" أتى بثم تنبيهاً على تراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهة الله بعدما أوعدهم العذاب وأوجبه عليهم " . (٥)

وقال السمين الحلبي :

" ثم للتراخي الرتبي " . (٦)

وقال الطاهر بن عاشور :

" ثم للتراخي الرتبي " . (٧)

وبهذا يتبين رجحان رأي الآلوسي من كون ثم للتراخي الرتبي .

---

(١)- الميزان جـ ١١ ، ص ٥٧ .

(٢)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

(٣)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٤٥ .

(٤)- اللباب جـ ١٠ ، ص ٥٩١ .

(٥)- فتح البيان جـ ٣ ، ص ٣٧٢ .

(٦)- الدر المصون جـ ٤ ، ص ١٤٥ .

(٧)- التحرير والتنوير جـ ١٢ ، ص ١٧٨ .

المسألة الثانية عشرة
الرؤيا حملية

في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **إني رأيت** " أي في المنام كما يقتضيه كلام ابن عباس وغيره ، فإن مصدر رأى الحملية الرؤيا ومصدر البصرية الرؤية في المشهور ، وذهب السهيلي (٢) وبعض اللغويين إلى أن الرؤيا سمعت من العرب بمعنى الرؤية ليلاً ومطلقاً ، واستدل بعضهم لكون رأى حلمية بأن ذلك لو وقع لوقع يقظة وهو أمر خارق للعادة لشاع وعد معجزة ليعقوب عليه السلام أو إرهاصاً ليوسف عليه السلام ، وأجيب بأنه يجوز أن يكون في زمان يسير من الليل والناس غافلون ، والحق أنها حلمية ، ومثل هذا الاحتمال مما لا يلتفت إليه . (٣)

المعنى الإجمالي للآية :

اذكر يا محمد لقومك قصة يوسف حين قال لأبيه يعقوب ، إني رأيت في منامي أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر تسجد لي ، سجود احترام وانحناء وخضوع وتواضع ، لا سجود عبادة . (٤)

دراسة النص :

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي حكى الأقوال الواردة في الرؤيا في الآية محل البحث على قولين هما :

القول الأول : أن الرؤيا حلمية .

القول الثاني : أن الرؤيا بصرية بمعنى الرؤية ليلاً أو مطلقاً .

---

(١)- سورة يوسف آية ٤ .

(٢)- السهيلي : الحافظ العلامة البارع أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن سعدون الضرير ، صاحب التصانيف المؤنقة ، ولد سنة تسع وخمسمائة ، أخذ القراءات عن أبي داود الصغير سليمان بن يحي ، عمي وهو ابن سبع عشرة سنة ، وصنف كتاب " الروض الأنف كالشرح للسيرة النبوية فأجاد وأفاد وذكر أنه استخرجه من مائة وعشرين مصنفاً ، وله كتاب الأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ، وله كتاب الفرائض وكان إماماً في لسان العرب ، وتوفى بمراكش في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، انظر : تذكرة الحفاظ لمحمد بن طاهر القيسراني جـ ٤ ، ص ١٣٤٨ ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط دار الصميعي ، الرياض ،الطبعة الأولى ١٤١٥هـ وطبقات الحفاظ للسيوطي جـ ١ ، ص ٤٨١ ، وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٦٨ .

(٣)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ٢٦٨ .

(٤)- التفسير المنير جـ ١٢ ، ص ٢٠٦ .

ثم اختار القول الأول بأن الرؤيا حلمية ويقوي هذا الاختيار قاعدة :

(القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أنها من الرؤيا لا من الرؤية لقوله " لا تقصص رؤياك " وقوله " هذا تأويل رؤياي" ولأن الظاهر أن وقوع مثل هذه الأمور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راءٍ دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على أحد من الناس . (١)

ثانياً : أن ذلك لو كان في اليقظة لكانت آية عظيمة ولم تخف على أحد (٢) لأن الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف عليه السلام في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس . (٣)

ثالثاً : مما يؤيد ترجيح الآلوسي من أن الرؤيا حلمية أن أكثر المفسرين على ذلك وإليك بعض أقوالهم :

قال أبو حيان :

" رأيت هي حلمية لدلالة متعلقها على أنه منام ". (٤)

وقال القرطبي :

" الرؤيا مصدر رأى في المنام " . (٥)

وقال الإمام أبو زهرة :

" من الرؤيا لا من الرؤية البصرية فهي رؤيا في المنام لقول أبيه له فيما قص القرآن الكريم " لا تقصص رؤياك على إخوتك " . (٦)

وقال الشوكاني وصديق خان :

" من الرؤيا النومية لا من الرؤية البصرية كما يدل عليه " لا تقصص رؤياك على إخوتك " . (٧)

وقال الرازي :

" إنا حملنا قوله " إني رأيت " على الرؤيا لوجهين :

الأول : أن الكواكب لا تسجد في الحقيقة فوجب حمل هذا الكلام على الرؤيا .

الثاني : قول يعقوب عليه السلام " لا تقصص رؤياك على إخوتك " . (٨)

---

(١)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٢٥ .

(٢)- غرائب القرآن جـ ٤ ، ص ٦٥ .

(٣)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

(٤)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٣٧ .

(٥)- الجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ١٢٥ .

(٦)- زهرة التفاسير جـ ٧ ، ص ٣٧٩٨ .

(٧)- فتح القدير جـ ٣ ، ص ٧ ، وفتح البيان جـ ٣ ، ص ٣٨٥ .

(٨)- مفاتيح الغيب جـ ١٨ ، ص ٦٩ .

وقال الشهاب الخفاجي :

" الدليل على أن الفعل هنا فعل الحلمية تصريحه بمصدره في قوله رؤياك والصحيح أنها منام " . (١)

وقال الطباطبائي :

" هي من الرؤيا التي يشاهدها النائم في نومته ويشهد له قوله في الآية التالية " لا تقصص رؤياك على إخوتك " وقوله في آخر القصة " يا أبت هذا تأويل رؤياي " . (٢)

وبهذا نخلص إلى صواب اختيار الآلوسي من كون الرؤيا حلمية .

---

(١)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٥٤ .

(٢)- الميزان جـ ١١ ، ص ٧٩ .

المسألة الثالثة عشرة
الضمير للناجي

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **فأنساه الشيطان** " أي أنسى الشيطان ذلك الناجي بوسوسته وإلقائه في قلبه إشغالاً حتى يذهل عن الذكر " ذكر ربه " أي ذكر يوسف عليه السلام عند الملك ، وجوز بعضهم كون ضمير أنساه و " ربه " عائدين على يوسف عليه السلام ، وأنت تعلم أن الأول هو المناسب لمكان الفاء ، ولقوله تعالى الآتي " وادكر بعد أمة " . (٢)

المعنى الإجمالي للآية :

مكث يوسف في السجن حيناً ، وهو يعلم أنه بريء ، فأراد أن يذكر الملك بنفسه فطلب ممن ظن أنه ناج أن يخبر الملك بذلك ، لكن ساقي الملك شغله المنصب ، وحياة القصور وأمورها ، فنسى وصية يوسف له ، ونسي يوسف في السجن ومكث فيه بضع سنين . (٣)

دراسة النص :

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي حكى قولين في عود الضمير في أنساه وربه وهما ما يلي :

القول الأول : أن الضمير في فأنساه وربه يعود على الناجي .

القول الثاني : أن الضمير ليوسف عليه السلام .

ثم اختار القول الأول بأن الضمير للناجي وهو اختيار رشيد وترجيح سديد من الإمام تقويه القاعدة التفسيرية :

(القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب إليها مالا يليق أولى بتفسير الآية)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل أولى من صرفها إلى يوسف الصديق ولأن الاستعانة بالعباد في التخلص من الظلم جائزة . (٤)

وليس قوله للفتى اذكرني عند ربك إلا مجرد إخبار الملك به ليعلم حاله ، ليتبين الحق ويوسف كان من أثبت الناس وهذا لا ينافي التوكل . (٥)

فيوسف حين يذكر الساقي بأن يعرض أمره على الملك هو آخذ بالأسباب .

---

(١)- سورة يوسف الآية ٤٢ .

(٢)- روح المعاني جـ ١٢ ، ص ٣٧٢ .

(٣)- تفسير القرآن الكريم د / عبد الله شحاتة جـ ٦ ، ص ٢٢٣١ .

(٤)- مفاتيح الغيب جـ ١٨ ، ص ١١٦ ، ولباب التأويل جـ ٣ ، ص ٢٨٥ .

(٥)- دقائق التفسير جـ ٣ ،ص ٢٦١ .

ثانياً : رجح كونه للساقي بأن الشيطان لا سبيل له على الأنبياء وبأن النسيان ليس بذنب فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو يوسف لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين . (١)

فالله سبحانه وتعالى نص على كونه عليه السلام من المخلصين ونص على أن المخلصين لا سبيل للشيطان إليهم ، مضافاً إلى ما أثنى الله عليه في هذه السورة والإخلاص لله لا يستوجب ترك التوسل بالأسباب . (٢)

ثالثاً : توجد قرينة صالحة على أن الناسي هو الساقي دون يوسف وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (٣)

رابعاً : مما يعضد ترجيح الآلوسي في أن الناسي هو الساقي ترجيح بعض المفسرين له وإليك بعض أقوالهم :

قال صاحب حاشية الشهاب :

" الضمير يعود على الساقي لأنه المناسب لقوله الآتي " وادكر بعد أمة " ولأنه المناسب لذكر الفاء " . (٤)

وقال صاحب الدر المصون :

" الضمير في فأنساه يعود على الشرابي وقيل على يوسف وهو ضعيف " . (٥)

وقد رد أبو حيان إعادة الضمير في فأنساه على يوسف فقال :

" وقيل الضمير في فأنساه عائد على يوسف ورتبوا على ذلك أخباراً لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم السلام " . (٦)

وقال د / عبد الله شحاتة :

" وعند التأمل نجد أن السياق لا يساعد على أن الذي نسى هو يوسف بدليل قوله تعالى " وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة " . (٧)

وقال الزجاج :

" الأقرب أن الشيطان أنسى الرجل الناجي أن يذكر يوسف عند الملك ويقوي هذا ما يأتي من قوله " وادكر بعد أمة " . (٨)

وقال سعيد حوى :

" الراجح عند مفسرينا أن الضمير يعود على الساقي " . (٩) .

فالأقرب أن الشيطان أنسى الرجل الناجي أن يذكر يوسف عند الملك وهو ما رجحه الإمام الآلوسي .

---

(١)- الجامع للقرطبي جـ ٩ ، ص ١٩٦ .
(٢)- الميزان جـ ١١ ، ص ١٨٥ .
(٣)- سورة يوسف آية ٤٥ .
(٤)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ١٧٩ .
(٥)- الدر المصون جـ ٤ ، ص ١٨٥ .
(٦)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٢٨٠ .
(٧)- تفسير القرآن الكريم د / عبد الله شحاتة جـ ٦ ، ص ٢٢٣١ .
(٨)- معاني القرآن للزجاج جـ ٣ ، ص ١١٢ .
(٩)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٢٤٥ .

المسألة الرابعة عشرة
الألف بدل من ياء المتكلم

في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **وقال يا أسفى على يوسف** " الأسف أشد الحزن على ما فات ، والظاهر أنه عليه السلام أضافه إلى نفسه ، والألف بدل من ياء المتكلم للتخفيف ، والمعنى " يا أسفي تعالى فهذا أوانك ، وقيل : الألف ألف الندبة والهاء محذوفة والمعول عليه الأول . (٢)

المعنى الإجمالي للآية :

لما عادوا إلى أبيهم من غير ابنه ، زاد أباهم حزن إلى حزنه ، فنكئوا جرحه القديم على يوسف ، ولقد صور الله تعالى حاله عندما أنهوا إليه خبر ولده الثاني بأنه أعرض عنهم ، لأن إخبار أخبار السوء ، تضر ولا تسر ، فانكفأ على نفسه ، وهو يقول " يا أسفى على يوسف " وهي جملة تصور ألمه وحزنه ، وكأنه ينادي الأسف والحزن ، لأن هذا وقته ، وأصابت عيناه سحابة بيضاء من كثرة البكاء والحزن ، وطوى نفسه على آلام مستمرة على أولاده الغائبين وكظم الغيظ في ذاته ممض ، وملق بالبؤس في نفسه ، لولا ما امتلأ قلبه بالإيمان ، ولولا الرجاء الذي يرجوه ، والأمل الذي عاش عليه . (٣)

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي حكى قولين في ألف يا أسفى وهما كالآتي:

القول الأول : أن الألف في يا أسفى بدل من ياء المتكلم للتخفيف .

القول الثاني : أن الألف ألف الندبة والهاء محذوفة .

ثم اختار القول الأول وهو اختيار رشيد تدعمه القاعدة الآتية :

(وجوب حمل كلام الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : الألف منقلبة عن ياء المتكلم والأصل يا أسفي ففتحت الفاء صيرت الياء ألفاً طلباً للتخفيف لأن الفتحة والألف أخف من الكسرة والياء ولذلك تكتب هذه الألف ياء لأنها منقلبة منها . (٤)

ثانياً : أنها منقلبة عن ياء المتكلم لأن الصوت معها أتم (٥) وليحصل امتداد الصوت الذي هو المقصود في الندامة . (٦)

---

(١)- سورة يوسف آية ٨٤ .

(٢)- روح المعاني جـ ١٣ ، ص ٥٧ .

(٣)- زهرة التفاسير جـ ٧،ص ٣٨٥١ .

(٤)- حاشية زاده جـ ٥ ، ص ٦٨ ، والفتوحات الإلهية جـ ٢ ، ص ٤٧٥ .

(٥)- الدر المصون جـ ٤ ، ص ٢٠٨ .

(٦)- حاشية زاده جـ ٥ ، ص ٦٨ .

ثالثاً : أنها في النداء تبدل ألفاً ونادى الأسف على سبيل المجاز على معنى هذا زمانك فاحضر . (١)

أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه منادياً له مقبلاً عليه هلم فهذا أوانك فاستثقلت الكسرة على الفاء ففتحت وأبدلت من الياء الألف . (٢)

رابعاً : أن هذه لغة من يرد ياء الإضافة ألفاً نحو يا غلاماً ويا أبتا (٣) وياء الإضافة يجوز أن تبدل ألفاً لخفة الألف والفتحة . (٤)

خامساً : ما رجحه الآلوسي من كون الألف بدل من ياء المتكلم هو ما قال به جمع من المفسرين وإليك بعض أقوالهم :

قال الزمخشري :

" الألف بدل من ياء الإضافة " . (٥)

وقال الطاهر بن عاشور :

" الألف عوض عن ياء المتكلم فإنها في النداء تبدل ألفاً " . (٦)

وقال النيسابوري :

" الألف فيه مبدل من ياء الإضافة " . (٧)

وقال أبو السعود :

" الألف بدل من الياء " . (٨)

وقال ابن عادل :

" الألف منقلبة عن ياء المتكلم " . (٩)

وبهذا يظهر لنا صواب اختيار الآلوسي من كون الألف بدل من الياء .

---

(١)- البحر المحيط جـ ٦ ، ص ٣١٤ ، ومفاتيح الغيب جـ ٨ ، ص ١٥٦ .

(٢)- الفريد في إعراب القرآن المجيد جـ ٣ ، ص ٩٣ .

(٣)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٢٧٢ .

(٤)- معاني القرآن للزجاج جـ ٣ ، ص ١٢٥ ، ومعاني القرآن للنحاس جـ ٢ ، ص٣٤٢ .

(٥)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٢٧١ .

(٦)- التحرير والتنوير جـ ١٣ ، ص ٤٢ .

(٧)- غرائب القرآن جـ ٤ ، ص ١١٧ .

(٨)- إرشاد العقل السليم جـ ٣ ، ص ٣٠١ .

(٩)- اللباب جـ ١١ ، ص ١٨٩ .

المسألة الخامسة عشرة
الباء للملابسة

في قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُّنظَرِينَ﴾ (١)

قال الإمام الآلوسي :

" **إلا بالحق** " أي إلا تنزيلاً ملتبساً بالوجه الذي اقتضته الحكمة فالباء للملابسة والجار والمجرور في موضع الصفة للمصدر المحذوف مستثنى استثناءً مفرغاً ، وجوز فيه الحالية من الفاعل والمفعول . وجوز أبو البقاء أن تكون الباء للسببية متعلقة بننزل (٢) والأول أولى . (٣)

المعنى الإجمالي للآية :

من شأن الحق سبحانه وتعالى أن يجري أعماله لحكمة إلهية ، فهو سبحانه حكيم في عمله وصنعه ، ومن هذه الحكمة : أن يرسل الملائكة لتتنزل بالوحي والرسالة على المرسلين ، أو ينزل بالعذاب على المكذبين ، فلو أنا أنزلناهم ولم يؤمنوا بهم لحق عليهم عذاب الاستئصال ولم ينظروا ساعة من نهار . (٤)

دراسة النص :

الناظر إلى هذا النص يرى أن الإمام الآلوسي أورد قولين في معنى الباء في الآية محل البحث وهما ما يلي :

القول الأول : أن الباء للملابسة والجار والمجرور في موضع الصفة للمصدر المحذوف مستثنى استثناءً مفرغاً .

القول الثاني : أن الباء للسببية متعلقة بننزل .

ثم رجح القول الأول بأن الباء للسببية وهو ترجيح موفق من الإمام مؤسس على بالقاعدة الآتية :

(إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له)

وما رجحه الآلوسي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أن هذا رد على قولهم " لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين " فالملائكة لا تنزل إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق الذي يحق عنده تنزيلهم فيما تقتضيه الحكمة الإلهية والمشيئة الربانية وليس هذا الذي اقترحتموه مما يحق عنده تنزيل الملائكة . (٥)

ومحصل الجواب أن السنة الإلهية جارية على ستر ملائكته عنهم تحت أستار الغيب فلو أنزلهم وأظهرهم لهم عند اقتراحهم ذلك كان ذلك آية سماوية خارقة للعادة نازلة عن اقتراحهم ، ومن شأن الآية المعجزة النازلة عن اقتراح الناس أن يعقبها عذاب

---

(١)- سورة الحجر الآية ٨ .

(٢)- التبيان للعكبري جـ ٢ ، ص ٧٧٧ .

(٣)- روح المعاني جـ ١٤ ، ص ٢٠ .

(٤)- تفسير القرآن الكريم د / عبد الله شحاتة ، جـ ٧ ، ص ٢٥٦٥ ، وتفسير المراغي جـ ١٤ ، ص ٩ .

(٥)- فتح القدير جـ ٣ ، ص ١٧٣ ، وفتح البيان جـ ٣ ، ص٥٦٨ .

الاستئصال والهلاك القطعي إن لم يؤمنوا بها ، وهؤلاء الكفار المعاندون لن يؤمنوا عند نزول الملائكة فهو الهلاك . (١)

ثانياً : أن الله تعالى ما خلق شيئاً عبثاً وما جعل الأمور سدى تنزل الملائكة حيث يبتغي المشركون ويريد الكافرون وإن لم يكن جدوى من نزولهم وإن حالهم حال إنكار لا تحتاج إلى دليل فإن نزلوا قالوا هؤلاء رجال لا ملائكة كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ** ﴾ (٢)(٣)

ثالثاً : أن إنزال الملائكة لا يكون إلا بالحق وعند حصول الفائدة وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنه لو أنزل عليهم الملائكة لبقوا مصريين على كفرهم وعلى هذا التقرير فيصير إنزالهم عبثاً باطلاً ولا يكون حقاً فلهذا السبب ما أنزلهم الله تعالى . (٤)

رابعاً : أن الملائكة إنما تنزل بآجال أو بوحي من الله . (٥)

فهي إنما تنزل تنزيلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي ﷺ (٦)

خامساً : مما يشهد لما رجحه الآلوسي هو ظهور قوة هذا الرأي عند بعض المفسرين وإليك أقوالهم :

قال محي الدين زاده :

" إلا بالحق ، مستثنى مفرغ من أعم عام المصدر أي ما تنزل الملائكة تنزيلاً إلا تنزيلاً ملتبساً بالحق " . (٧)

وقال الثعالبي :

"الظاهر أن معناه كما ينبغي ويحق من الوحي والمنافع التي أراها الله لعباده ". (٨)

وقال أبو السعود :

" أي ملتبساً بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية " . (٩)

---

(١)- الميزان جـ ١٢ ، ص ٩٧ .

(٢)- سورة الأنعام آية ٩ .

(٣)- زهرة التفاسير جـ ٨ ، ص ٤٠٧٠ .

(٤)- مفاتيح الغيب جـ ٢٠ ، ص ١٢٦ .

(٥)- معاني القرآن للزجاج جـ ٣ ، ص ١٧٣ .

(٦)- الكشاف جـ ٢ ، ص ٣١٠ .

(٧)- حاشية زاده جـ ٥ ، ص ١٩٥ .

(٨)- الجواهر الحسان جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٩)- إرشاد العقل السليم جـ ٥ ، ص ١٨ .

وقال صاحب حاشية الشهاب :

" الباء للملابسة والجار والمجرور صفة مصدر محذوف مستثنى استثناءً مفرغاً وفسر الحق بمقتضى الحكمة وهو أن لا يشاهدوا ليكون إيماناً بالغيب " . (١)

وقال ابن عطية :

" الظاهر أن معناه كما يجب ويحق من الوحي والمنافع التي أراها الله لعباده لا على اقتراح كافر ولا باختيار معترض " . (٢)

وهكذا يتضح صواب اختيار الآلوسي من أن الباء للملابسة والجار والمجرور مستثنى استثناءً مفرغاً .

---

(١)- حاشية الشهاب جـ ٥ ، ص ٢٨٤ .

(٢)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٣٥١ .

المسألة السادسة عشرة
دلالة أجمعون على التوكيد

في قوله تعالى: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [١]

قال الإمام الآلوسي رحمه الله :

" **أجمعون** " بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد بل أوقعوا الفعل مجتمعين في وقت واحد ، هذا على ما ذهب إليه الفراء والمبرد من دلالة أجمعين على الاجتماع في وقت الفعل ، وقال البصريون : إنها ككل لإفادة العموم مطلقاً . فالحق في المسألة مع الفراء والمبرد ، وذلك هو الموافق لبلاغة التنزيل ، وزعم البصريون أنه إنما أكد بتأكيد للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص . [٢]

المعنى الإجمالي للآية :

استجاب الملائكة لأمر الله ، ونجحوا في طاعتهم لأمر خالقهم ، وسجدوا بحيث لم يبق منهم أحد ، فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

دراسة النص :

نلاحظ في هذا النص أن الإمام الآلوسي أورد قولين في دلالة أجمعون في الآية محل البحث وهما ما يلي :

القول الأول : أن أجمعون تدل على الاجتماع في وقت الفعل .

القول الثاني : أن أجمعون تدل على التوكيد .

وقد مال الآلوسي إلى القول الأول وهو أنها تدل على الاجتماع في وقت واحد ولكني أرى والله أعلم رجحان القول الثاني وهو أنها للتوكيد عملاً بالقاعدة :

(وجوب حمل كلام الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة) .

وهذا الرأي هو الراجح لما يأتي :

أولاً : أن كلهم وأجمعون تأكيدان للمبالغة وزيادة الاعتناء وزيادة تمكين المعنى وتقريره في الذهن ولا يكون تحصيلاً للحاصل لأن نسبة أجمعون إلى كلهم كنسبة كلهم إلى أصل الجملة . [٣]

ثانياً : توكيدان بلفظين للسجود جميعهم أحدهما بقوله " كلهم " وثانيهما " أجمعون " فقد سجدوا سجوداً مؤكداً لم يمتنع منهم أحد وذلك لتكريم آدم [٤] حيث علم مالم يعلموا وتعظيماً لأمر الله .

ثالثاً : أجمعون توكيد ثان للمبالغة في الدلالة على سجود الكل فإنه لو قيل : فسجد الملائكة من غير تأكيد لاحتمل أن يكون الساجد بعض الملائكة ، فلما قيل كلهم زال هذا

---

(١)- سورة الحجر آية ٣٠ .

(٢)- روح المعاني جـ ١٤ ، ص ٦٦ .

(٣)- إعراب القرآن لمحي الدرويش جـ ٥ ، ص ٢٣٧ ، والفتوحات الإلهية جـ ٢ ، ص ٥٤٢ .

(٤)- زهرة التفاسير جـ ٨ ، ص ٤٠٨٦ .

الاحتمال وظهر أنهم سجدوا بأسرهم ، ثم كرر التأكيد للمبالغة في إزالة احتمال كون الساجد بعضهم . (١)

رابعاً : أجمعون توكيد ثان عند الجمهور. (٢)

قال سيبويه (٣) والخليل أجمعون توكيد بعد توكيد .

قال الزجاج :

وقول سيبويه والخليل أجود لأن أجمعين معرفة فلا يكون حالاً . (٤)

وإذا كانت حالاً كان يجب أن تنصب لا أن تكون مرفوعة .

وقال العكبري (٥) **:**

" وزعم بعضهم أنها أفادت مالم تفده كلهم وهو أنها دلت على أن الجميع سجدوا في حال واحدة وهذا بعيد ، لأنك تقول جاء القوم كلهم أجمعون وإن سيق بعضهم بعضاً ولأنه لو كان كما زعموا لكان حالاً لا تأكيداً " . (٦)

خامساً : أن القراءة بالرفع تأبى قول المبرد .

قال ابن عطية :

" اعترض قول المبرد بأنه جعل قوله " أجمعون " حالاً بمعنى مجتمعين يلزمه على هذا أن يكون أجمعين يقرب من التنكير إذ هو معرفة لكونه يلزم إتباع المعارف والقراءة بالرفع تأبى قوله " . (٧)

سادساً : أن المراد أن الملائكة سجدوا له بحيث لم يبق منهم أحد فأجمعون تأكيد ثان ولا يفيد الاجتماع في الوقت . (٨)

وبهذا نخلص إلى صواب اختيار هذا الرأي .

---

(١)- حاشية زاده جـ ٥ ، ص ٢١١ .

(٢)- التبيان جـ ٢ ، ص ٧٨١ .

(٣)- سيبويه : إمام النحاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه لزم الخليل بن أحمد ، فبرع في النحو ، ودخل بغداد وناظر الكسائي ، وكان سيبويه شاباً حسناً جميلاً ، وقد تعلم من كل علم بسبب ، وضرب مع كل أهل أدب بسهم ، توفى وله من العمر ثنتان وثلاثون سنة ، سنة تسع وسبعين ومائة . ، انظر : الفهرست جـ ١ ، ص ٧٦ ، وتهذيب الكمال ، جـ ٨ ، ص ٣٣٢ ، وتاريخ بغداد جـ ١٢ ، ص ١٩٥ .

(٤)- معاني القرآن للزجاج جـ ٣ ، ص ١٧٩ .

(٥)- العكبري : هو عبد الله بن حسين بن عبد الله بن الحسين الإمام محب الدين أبو البقاء العكبري ، صاحب الإعراب ، ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، تفقه بالقاضي أبي يعلى الفراء ولازمه حتى برع في المذهب والخلاف والأصول ، وقرأ العربية على يحيى بن نجاح وصار فيها من الرؤساء المتقدمين ، وأقرأ النحو واللغة والمذهب والخلاف ، من مصنفاته إعراب القرآن وشرح الحماسة وغيرها ، توفى سنة ست عشرة وستمائة . بغية الوعاة ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

(٦)- التبيان للعكبري جـ ٢ ، ص ٧٨١ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط دار إحياء الكتب العربية .

(٧)- المحرر الوجيز جـ ٣ ، ص ٣٦٠ .

(٨)- الدر المصون جـ ٤ ، ص٢٩٦ .